وديع عواودة *

إسرائيل والسودان.. من المداولات والصفقات السرية إلى العلاقات العلنية

يستدل من مراجعة ملف العلاقات بين إسرائيل وبين السودان أن التطبيع الجديد المعلن بينهما عقب تطبيع الإمارات والبحرين، هو الحلقة المناوبة من مسلسل الاتصالات والمداولات والصفقات السرية التي تمت منذ نحو سبعة عقود بوتيرة متفاوتة، في فترات حكم عدد من حكام الخرطوم. عقب حرب ١٩٦٧ احتضنت السودان اجتماع قمة عربية اتخذت فيه قرارات تاريخية عرفت بـ «لاءات الخرطوم الثلاث» مشّددة على تحريم الاعتراف بإسرائيل: «لا صلح، لا تفاوض ولا اعتراف بإسرائيل». جاء لقاء القمة الرابع للجامعة العربية في العاصمة السودانية الخرطوم في ٢٩ آب ١٩٦٧ على خلفية هزيمة عام ١٩٦٧ أو ما عرف بالنكسة، وقد خرجت القمة بإصرار على التمسك بالثوابت من خلال لاءات ثلاث قبل أن يعود الحق لأصحابه. وبدت تلك القمة وكأنها تبعث رسالة مفادها أن العرب يستطيعون قطع الطريق أمام إسرائيل والولايات المتحدة الساعيتين لاستغلال ضعف العرب جراء الهزيمة، وترفض الاستسلام والاعتراف رغم حجم التفوق العسكري الإسرائيلي الكبير والدعم الأميركي الغربي اللامحدود لإسرائيل. وقد ورد في البيان الختامي للقمة أنه قد «ساد اجتماعات القادة العرب شعور مشترك بـ عبء المسؤولية التاريخية التي تواجهها الشعوب العربية في هذه المرحلة الحاسمة والدقيقة من مراحل نضالنا، مؤكدين تصميمهم على الوقوف صفا واحدا في مواجهة التحديات المصيرية وما تلقيه على الشعوب العربية من مسؤوليات».

* صحافي وباحث.

[1] لكن، كما في حالات كثيرة في السياسة، بقيت اللاءات حبرا على ورق، واستبدلت على أرض الواقع بـ « نعم « سرا وعلانية قبل أن يسترد العرب والفلسطينيون معظم الحقوق المسلوبة، إلى أن شهد العام ٢٠٢٠ مبادرة دول عربية من بينها السودان للتطبيع الرسمي العلني مع إسرائيل، وهناك دول أخرى تنتظر وفق تقارير إعلامية مختلفة.[2]

جاء الإعلان عن قرار السودان بالتطبيع مع إسرائيل بعد مدة وجيزة من توقيع الإمارات والبحرين، لكن الحقائق تفيد بأن العلاقات السرية قائمة منذ عقود ومن قبل لاءات الخرطوم. ومن بين القواسم المشتركة لهذه الاتفاقات أنها تمت برعاية أميركية خدمة لمصالح وصفقات مشتركة، مثلما أن هذه الدول الثلاث المذكورة لم تشهد حربا مباشرة مع إسرائيل بعكس مصر والأردن اللتين وقعتا اتفاق سلام مع إسرائيل في عامي ١٩٧٩ و١٩٩٤ أو منظمة التحرير الفلسطينية في عام ١٩٩٣. وتجلت نوايا السودان بالتطبيع العلني مع إسرائيل هذا العام بأعلى المستويات، وذلك في اجتماع رئيس الحكومة الإسرائيلية نتنياهو، برئيس مجلس السيادة السوداني، عبد الفتاح البرهان، في أوغندا، في الثالث من شباط ٢٠٢٠.

نظرة إلى الجغرافيا

قبل النظرة للتاريخ يشار أن الاسم الرسمي للسودان هو جمهورية السودان، عاصمتها الخرطوم ولغتها الرسمية هي العربية ونظامها السياسي رسميا جمهوري وقد استقلت عن بريطانيا في ١ كانون الثاني ١٩٦٥ وعملتها المتداولة الجنيه. ويقع السودان في شمال أفريقيا، تحده من الشمال مصر، ومن الشمال الغربي ليبيا، ومن الغرب تشاد ومن الجنوب الغربي أفريقيا الوسطى، ومن الجنوب دولة جنوب السودان، ومن الشرق إثيوبيا وإريتريا، ومن الشمال الشرقي البحر الأحمر ومناخ السودان استوائي جنوبا وصحراوي شمالا. وحسب دراسة الجزيرة تبلغ مساحة السودان ١,٨٦١,٤٨٤ كيلومترا مربعا وموارده الطبيعية هي: النفط، النحاس، الذهب، الفضة، الحديد ، القطن، الماشية، الفول السوداني، الصمغ العربي، والحبوب.[3]

وحسب الدراسة المذكورة، يبلغ تعداد سكان السودان نحو ٣٧ مليون نسمة، فيما تبلغ نسبة النمو السكاني ١,٧٨٪ وفق تقديرات ٢٠١٤ الخاصة بالجهاز المركزي للإحصاء بالسودان، ٧٠٪ منهم سودانيون عرب والبقية من البجة والنوبة والفلاتة وعرقيات أخرى، ويدين أغلب سكان السودان بالإسلام مع أقلية مسيحية. وحسب معطيات البنك الدولي يبلغ الناتج القومي الإجمالي ٥٢,٥ مليار دولار، أما معدل الناتج الفردي السنوي فهو ٢٦٠٠ دولار، بينما تبلغ نسبة النمو الاقتصادي السنوي ٣,٩٪ ونسبة البطالة ٢٠٪، وتجاوزت ديون السودان الـ ٤٠ مليار دولار.[4]

وحسب مقياس الفساد العالمي للعام ٢٠١٨ تم تدريج السودان في الموقع ١٧٥ من بين الـ ١٨٠ دولة، ما يدل على استشراء الفساد.[5]

ينقسم السودان إداريا إلى ست وعشرين ولاية، عشر منها في الجنوب المنفصل عنه في حين يضم إقليم دارفور ثلاث ولايات هي شمال وغرب وجنوب. أما منطقة كردفان التي تعتبر قلب السودان فهي تضم ولايتي شمال وجنوب في حين يضم الوسط خمس ولايات هي بجانب ولاية الخرطوم ولايات الجزيرة والنيل الأبيض والنيل الأزرق وسنار. ويضم الشرق ولايات كسلا والقضارف والبحر الأحمر. أما الشمال الجغرافي فيضم ولايتي نهر النيل والشمالية.[6]

وهناك تفاوت في تقدير مكانة السودان في إفريقيا كما يتجلى في نقاش ما زال قائما، بين كاتبين سودانيين هما حسن عبد الوهاب وعبد الوهاب أفندي اللذين تناقشا حول ذلك منذ سنوات. في مقال «عن تغييب دور السودان المهم في إفريقيا « فقال حسن عبد الوهاب، وهو كاتب سوداني مقيم في برلين، ردا على أفندي: إنه «من ترف القول إنكار أن السودان كان أحد الدول الخمس المستقلة التي أسست منظمة الوحدة الافريقية في ٢٥ أيار ١٩٦٣. وقبل شهر احتفل الاتحاد الافريقي لكرة القدم بعيد تأسيسه الذهبي.. فقد كان تأسيسه في الخرطوم عام ١٩٥٧» ضمن تبيان دور السودان في إفريقيا في السياسة والثقافة. وتابع حسن عبد الوهاب «... إذا كان الصديق قد ركز في توثيقه على القرن العشرين.. فالمعروف أن الثورة المهدية السودانية ١٨٨٥ ـ ١٨٩٨ كانت ملهمة لثورات متعددة في إفريقيا خاضت هي أيضا كفاحا مسلحا ضد الغزو الكولونيالي في القرن التاسع عشر». وبذلك كان يرد على مقال رسالته مغايرة لـ عبد الوهاب الأفندي عن السودان قال فيه إن « وطنا بهذه الضخامة يتقزم دوره في إفريقيا الواسعة إلى حدّ العدم، حيث أن حال السودان حاليا يدعو إلى

يتضح أن الإعلان عن التغيير الدراماتيكي الراهن في موقف السودان التاريخي لم يقع دفعة واحدة، بل هو محصلة مسيرة بدأت منذ سنوات كثيرة تخللتها مداولات واتصالات سرية مباشرة وغير مباشرة. ومن الإرهاصات الأخيرة لهذا التغيير مزاعم وزير الاستثمار السوداني السابق مبارك الفاضل المهدي الذي قال قبل نحو العامين ممّهدا للتطبيع إن القضية الفلسطينية أخّرت العالم العربي كثيرًا.

الشفقة أكثر من الفخر، وإن الفضائح أصبحت تسّود وجه السودان والسودانيين أينما حلوا وتجعلهم موضع الشفقة والأسى إن لم يكن موضع الاحتقار والإدانة».[٧]

نظرة إلى التاريخ

يتضح أن الإعلان عن التغيير الدراماتيكي الراهن في موقف السودان التاريخي لم يقع دفعة واحدة بل هو محصلة مسيرة بدأت منذ سنوات كثيرة تخللتها مداولات واتصالات سرية مباشرة وغير مباشرة. ومن الإرهاصات الأخيرة لهذا التغيير مزاعم وزير الاستثمار السوداني السابق مبارك الفاضل المهدي الذي قال قبل نحو العامين ممّهدا للتطبيع إن القضية الفلسطينية أخّرت العالم العربي كثيرًا، ولا مشكلة في التطبيع مع إسرائيل إذا كان يحقق مصالح السودان، معتبرا أن الفلسطينيين، وبضمنهم حماس، طبعوا مع إسرائيل، وهم يتلقون منها أموال الضرائب والكهرباء. وتابع «نريد أن نجلس مع إسرائيل كما يجلسون معها، لنحل نزاعنا معها».[٨] بهذه الروح ومتعّمدا الدفع لذات مرامي الوزير المذكور، قال الرئيس السوداني عمر البشير لـ صحيفة «عكاظ» لو إن إسرائيل اليوم احتلت سورية لم تكن ستدمر كما يحصل الآن، ولم تكن ستقتل كما هي الأعداد المقتولة الآن، ولن تشرد كما شُرِّد الآن».[٩]

بيد أن الدراسات والأرشيفات التاريخية الإسرائيلية على الأقل تكشف عن أن علاقات التعاون السرية بين السودان وبين إسرائيل بدأت مبكرا و قبل ذلك بكثير، بل منذ أن قامت الأخيرة، على خلفية اعتبار مصر «عدوا مشتركا»، ورغبة بتبادل منافع متنوعة. وفي ١٥ أيار ١٩٤٨ أُعلن عن قيام إسرائيل بعد ساعات من إلغاء الانتداب البريطاني على فلسطين، ولم يكن هناك موقف سوداني واضح من هذا الإعلان بسبب أن السودان لم تكن دولة تتمتع باستقلالها، وكان يحكمها حاكم إنكليزي. وعندما أعلنت الدول العربية الحرب على إسرائيل فإن السودان لم يشارك فيها إلا من خلال متطوعين، ولم تسمح قوات الاحتلال البريطاني لهذه القوات السودانية بالذهاب إلا تحت ضغط المظاهرات الشعبية العارمة خصوصًا من طلاب جامعة الخرطوم، وقد تمركزت هذه القوات في غلاف غزة. ورغم هذا كلّه فإن حكومة السودان ما قبل الاستقلال عام ١٩٥٦ تحت حكم السير روبرت هاو استمرت في التعامل التجاري مع إسرائيل بشكل طبيعي، وفي السماح لطيران شركة «إلعال» الإسرائيلية باستخدام الأجواء السودانية والمطارات السودانية بل والتصرف بحزم مع الحكومة المصرية التي أوقفت سفينة سودانية محملة بالقطن متجهة إلى إسرائيل حيث لا سلطة للقاهرة لتمنع أي تواصل تجاري ما بين السودان وإسرائيل، وأن السودان ليس معنيا بقرارات الجامعة العربية لأنه لم ينضم إليها، وفق ما يؤكده في دراسته الكاتب والمعلق السياسي السوداني البارز وائل علي نصر الدين.

واستنادا للدراسة المذكورة، علاوة على أرشيفات إسرائيلية، تشير أيضا وثائق حكومة السودان ما قبل الاستقلال في ١٩٥٦ إلى تبادل تجاري نشط كان يتم بين إسرائيل والسودان، حيث إن إسرائيل استوردت على سبيل المثال مواشي سودانية عام ١٩٥٠ بمبلغ ٧٦٠ ألف جنيه إسترليني؛ أي حوالي ٣٠ مليون دولار أميركي. ويوضح نصر الدين أن هذا الوضع لم يستمر، ففي مطلع الخمسينيات تزايدت أصوات المطالبين بالوحدة مع مصر والانضمام للجامعة العربية، وهو ما تنبهت إليه إسرائيل التي قررت التدخل لدعم السودانيين الاستقلاليين وطلبت قبيل استقلال السودان بشهور لقاء في بريطانيا مع الإمام الصادق المهدي نجل زعيم

تشير أيضا وثائق حكومة السودان ما قبل الاستقلال في ١٩٥٦ إلى تبادل تجاري نشط كان يتم بين إسرائيل والسودان، حيث إن إسرائيل استوردت على سبيل المثال مواشي سودانية عام ١٩٥٠ بمبلغ ٧٦٠ ألف جنيه إسترليني؛ أي حوالي ٣٠ مليون دولار أميركي.

طائفة الأنصار الداعمة للاستقلال ومعه صحافي شاب يدُعى محمد عمر، وهو الذي سيعرف إسرائيليًا على أنه الصديق الأكبر لإسرائيل في السودان. ويقول إن الصادق المهدي كان محبطًا جدًا من أن السودان ربما ينتهي به الحال إقليمًا مصريًا، وأن الحكومة المصرية أنفقت مليوني جنيه من أجل استمالة السودانيين لخيار الوحدة بينما لم تقم بريطانيا بدعم الاستقلاليين. قبل ذلك كان الصادق المهدي يعتقد أن انتخابات ١٩٥٣ لم تكن نزيهة بسبب الأموال المصرية ولم تكن عادلة، فليس من العدل أن تقوم دولة بتمويل تيار أو حزب في أي انتخابات دولة أخرى. عقب تلك الانتخابات سافر المهدي إلى بريطانيا للطلب من الحكومة البريطانية إلغاء نتائج الانتخابات وعمل انتخابات جديدة لا توجد بها أموال خارجية، وهو ما رفضته الحكومة البريطانية التي كانت مستسلمة تمامًا وتريد الخروج من السودان وترك السودانيين يقررون مصيرهم.

وفي سياق الحديث عن الدور الإسرائيلي في تفاعلات السودان الداخلية عشية استقلاله أرسل حزب الأمّة السوداني في حزيران ١٩٥٤ وفداً إلى لندن للحصول على الدّعم البريطاني لاستقلال السودان. وفي أثناء مكوثه في لندن، أوعزت المخابرات البريطانيّة إلى وفد حزب الأمّة أن يطلب المساعدة من إسرائيل كما يؤكد الباحثان الصحافيان في الشؤون الإستراتيجية يوسي ميلمان وزميله رفيف دان.[١٠] وحسب ميلمان أيضا، فقد اجتمع هذا الوفد (ضمّ سيد الصادق المهدي، الابن الأكبر للمهدي، ومحمد أحمد عمر نائب الأمين العام لحزب الأمّة) في لندن في ١٧ حزيران ١٩٥٤ مع مسؤولين إسرائيليّين من السّفارة الإسرائيليّة هناك. واتّفق الطّرفان في ذلك الاجتماع على مواصلة اللقاءات والاجتماعات باستمرار، على أرضيّة المصالح المشتركة بينهما خاصة في العداء لمصر، واتّفقا أيضاً على أن يكون محمد أحمد عمر رجل الاتّصال الدائم بين حزب الأمّة وإسرائيل. وقد تسبب العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ إلى حالة من التعاطف العارم مع القاهرة في الخرطوم دفعت البرلمان السوداني لـ إصدار قانون شديد الصرامة لا يزال نافذًا حتى اليوم، يسمى قانون مقاطعة إسرائيل. وزاد الانقلاب العسكري في الخرطوم عام ١٩٥٨ بقيادة الفريق ابراهيم عبود من تقربها للقاهرة وتسبب بوقف الاتصالات السرية مع إسرائيل، لتبدأ بالتزامن اتصالات سرية مع المتمردين في جنوب السودان تصاعدت عقب حرب ١٩٦٧.

منذ ذلك الوقت اعتبرت مسألة التعامل مع إسرائيل نوعا من الخيانة، خصوصًا أن السودان مع الوقت أصبح يجد أدلة دامغة على انخراط إسرائيل في دعم التمرد في جنوب السودان الذي استنزف موارد الدولة. ويستذكر الباحث السوداني المذكور في دراسته هذه أنه كلما مرّ الوقت كان الموقف السوداني يمضي باتجاه أكثر تشددًا مع إسرائيل، وخلال عهد الرئيس السوداني الراحل جعفر نميري تم تأميم ممتلكات اليهود ما تسبب بهجرتهم إلى خارج البلاد. ولاحقا انخرطت القوات السودانية مع مصر في حروبها ضد إسرائيل؛ حربي الاستنزاف والعبور ١٩٧٣. في المقابل تُبين مصادر إسرائيلية كثيرة أن جهات عليا في السودان أقامت علاقات سرية مع إسرائيل مدة طويلة بعد العدوان الثلاثي، بل إن جعفر النميري إياه تعاون لاحقا ومباشرة مع جهات إسرائيلية، ويطرح السؤال: هل هناك علاقة بين ولادة هذه العلاقات السرية بين إسرائيل وبين السودان وتناميها وبين كثرة الانقلابات العسكرية (عشرة انقلابات) وتسلم عسكريين ومستبدين مقاليد الحكم في السودان منذ استقلاله؟

ويتضح أن هذه العلاقات تمت في مرحلة مبكرة وعلى أعلى المستويات، فبعد العدوان الثلاثي بشهور

نتنياهو مع رئيس جنوب السودان سالفا كير في كانون الأول ٢٠١١.

تم لقاء بين رئيس حكومة السودان عن حزب «الأمة» عبد الله خليل مع وزيرة في إسرائيل ورئيسة حكومتها لاحقا، غولدا مئير، ومعها بعض قادة الموساد خلال ١٩٥٧ مثلما يؤكد الباحث الإسرائيلي دكتور ايلي بوديه في مقال نشره تزامنا مع إعلان اتفاق التطبيع مع السودان، مؤخرًا.[١١]

يرد هذا الأمر بتفصيل أوسع في كتاب بوديه الجديد «من عشيقة سرية إلى معروفة لدى الجمهور: العلاقات بين إسرائيل مع دول وأقليات في الشرق الأوسط ٢٠٢٠-١٩٤٨»، إذ يؤكد بوديه أن الموساد قدم مساعدات للمتمردين في جنوب السودان في السنوات ١٩٦٩-١٩٧٢ من أجل الانفصال عن الخرطوم، مذكرا بانتهاء ذاك التمرد باتفاق شمال وجنوب السودان الذي حاز الجنوب على «حكم ذاتي « بموجبه.[١٢]

وبعد أن قامت الدول العربية بمقاطعة مصر بعد اتفاق كامب ديفيد عام ١٩٧٩، رفضت السودان وسلطنة عمان هذا القرار، وقررتا استمرار العلاقات مع مصر، وهذا ينذر بما كان يضمره قادة السودان. وتكشف عدة مصادر أن علاقة سرية نشأت بين الرئيس جعفر نميري والإسرائيليين أواخر السبعينيات ومطلع الثمانينيات حيث استطاع السمسار السعودي عدنان خاشقجي عقد لقاء سري في ١٩٨٠ ما بين الرئيس السوداني جعفر نميري ووزير الأمن الإسرائيلي وقتها أرئيل شارون في كينيا. قاد هذا اللقاء إلى عملية تهريب يهود الفلاشا من الحبشة إلى إسرائيل بعلم المخابرات السودانية كما يؤكد الكتاب الإسرائيلي « الموساد – العمليات الكبرى» للمؤرخ ميخائيل بار زوهر، كاتب سير القادة الإسرائيليين، وشريكه في الكتاب الصحافي الإسرائيلي نسيم مشعال.[١٣] وقد كان ملف تهريب يهود الفلاشا من إثيوبيا عبر الأراضي السودانية ضمن ما يعرف بـ«عملية موشيه» بين ١٩٧٩\١٩٨٥ ملفا سريا حتى وقت متأخر، وكان الأكثر سخونة بعد سقوط

تكشف عدة مصادر أن علاقة سرية نشأت بين الرئيس جعفر نميري والإسرائيليين أواخر السبعينيات ومطلع الثمانينيات حيث استطاع السمسار السعودي عدنان خاشقجي عقد لقاء سري في ١٩٨٠ ما بين الرئيس نميري ووزير الأمن الإسرائيلي وقتها أريئيل شارون في كينيا.

النميري في ١٩٨٥ في الانقلاب الذي يعرف باسم ثورة الإنقاذ الوطني، والذي قاده وزير الدفاع السوداني، في ذلك الوقت، عبد الرحمن سوار الذهب.

عن تلك الحقبة المبكرة من التعاون السري يقول بروفسور بوديه: «حافظ السودان على علاقات سرية مع إسرائيل طيلة سنوات كثيرة وكان بالنسبة لها ساحة خلفية سرية»، منوها في كتابه أن النميري الذي استلم الحكم في السودان عام ١٩٦٩ حتى ١٩٨٥ كان الوحيد من بين الحكام العرب الذين أعربوا عن تأييدهم للسادات. وقد نقل عنه في ١٩٧٥ قوله إن وجود إسرائيل بات أمرا ملموسا نحن نعترف به. ويذكر بوديه حقيقة أنه في ١٩٨٢ التقى النميري مع أريئيل شارون خلسة داخل مزرعة في كينيا ولعب دورا في نقل يهود الفلاشا من إثيوبيا ووافق على استخدام إسرائيل للأراضي السودانية. ومن المعروف أنه في العامين ١٩٨٤ و ١٩٨٥ نقلت إسرائيل عشرات الآلاف منهم مقابل مساعدة أميركية حاز عليها النميري من الولايات المتحدة. بقيت هذه العملية طي الكتمان حتى كُشف النقاب عنها، ما أدى لوقف العملية وسرّع من سقوط النمري.

وكانت إسرائيل قد أقامت «منتجعا سياحيا» في موقع «العروس» السوداني على ساحل البحر الأحمر، حيث شكلت هذه البقعة الساحرة في الواقع قاعدة لعملاء الموساد ومحطة على طريق نقل يهود الفلاشا من إثيوبيا إلى إسرائيل. مؤخرًا، كانت هذه القصة مصدر إلهام لمنصة الترفيه «نتفليكس» لإنتاج فيلم سينمائي يدعى «منتجع غطس في البحر الأحمر».[١٤]

في ٣٠ حزيران عام ١٩٨٩ أطاح عمر البشير بـ الحكومة المنتخبة بدعم من الإسلاميين، ودام حكمه ثلاثة عقود تخللتها أحداث قاسية ودراماتيكية، ففي عام ٢٠٠٣ أرسل عساكره لوضع حد للتمرد في إقليم دارفور حيث تمردت مجموعتا «حركة تحرير السودان» و «حركة العدل والمساواة» على خلفية اتهامات وجهت للخرطوم بـ اضطهاد سكان دارفور خاصة من غير العرب. تسبب القتال في دارفور بمقتل ٣٠٠ ألف نسمة بين جنود ومدنيين، وفق بيانات الأمم المتحدة. وفي ٢٠١٠ انتخب البشير رئيسا في انتخابات قاطعتها المعارضة. وهكذا أيضا في العام ٢٠١٥. شهدت فترته عملية استقلال جنوب السودان عام ٢٠١١، ما أدى لخسارة الخرطوم ثلثي احتياطها النفطي. وفي ٢٠١٣ تم قمع مظاهرات شعبية هبت رياحها بتأثير «الربيع العربي» ما أدى إلى قتل نحو ٢٠٠ شخص وفق معطيات منظمة العفو الدولية. واعتبارا من كانون الأول ٢٠١٨ شهد السودان مظاهرات واسعة احتجاجا على رفع سعر الخبز طالبت بسقوط النظام. تجدّدت المظاهرات في التاسع من نيسان ٢٠١٩ ما دفع بالجيش إلى التدخل والإطاحة بحكم البشير في الحادي عشر من الشهر المذكور. وما زال البشير يخضع للمحاكمة بتهم فساد وقتل متظاهرين.

شهد السودان في فترة حكم عمر البشير(٢٠١٩-١٩٨٩) تحولات في الموقف من التطبيع، فبعدما كان يتميز بـ علاقات وثيقة مع إيران وأخرى معادية للغرب وإسرائيل التي شاركت في هجمات جوية خلال تلك الفترة على مواقع سودانية وفق مصادر أجنبية، بدأ المشهد يتغيّر رويدا رويدا نتيجة تفاعلات داخلية في السودان وأخرى عربية وإقليمية. فعلى خلفية الحرب الأهلية والمجازر في إقليم دارفور الذي حاول الاستقلال، أدرجت الولايات المتحدة في عام ١٩٩٣ السودان في «قائمة الدول الراعية لـ الإرهاب». وأصدرت المحكمة الجنائية عام ٢٠٠٩ لائحة اتهام ضد البشير تضمنت اتهامه بارتكاب جرائم حرب، وجرائم ضد الإنسانية وإبادة جماعية في إقليم دارفور. وقد جاء التحول في

شهد السودان في فترة حكم عمر البشير (١٩٨٩-٢٠١٩) تحولات في الموقف من التطبيع، فبعدما كان يتميز بعلاقات وثيقة مع إيران وأخرى معادية للغرب وإسرائيل التي شاركت في هجمات جوية خلال تلك الفترة على مواقع سودانية، بدأ المشهد يتغيّر رويدا رويدا نتيجة تفاعلات داخلية في السودان، وأخرى عربية وإقليمية.

التعامل مع الغرب وإسرائيل في نهايات حكم عمر البشير بعدما أدرك عمق أزمته السياسية والأزمة الاقتصادية التي تورطت بها بلاده، فبادر إلى قطع العلاقات مع إيران وتقرب من السعودية، وفي عام ٢٠١٥ أرسل قوات لمساندتها في الحرب ضد الحوثيين في اليمن، كما بدأت تتغير لهجته حيال إسرائيل وكل ذلك طمعا وبحثا عما يسعفه ويخفف عنه أزماته.

في هذا السياق، يقول الباحث في تاريخ الشرق الأوسط ايلي بوديه إن موظفين من وزارة الخارجية الإسرائيلية التقوا مع نظراء سودانيين عام ٢٠١٧، وفي ٢٠١٩ التقى رئيس الموساد يوسي كوهن مع رئيس المخابرات السودانية على هامش مؤتمر أمني في ميونيخ، وبدأت واشنطن بتخفيف العقوبات الاقتصادية المفروضة على السودان. لكن احتجاجات شعبية عارمة في الخرطوم أطاحت في نيسان ٢٠١٩ بحكم البشير، غير أن التعاون مع إسرائيل تصاعد كما تجلى في لقاء جمع نتنياهو وبرهان في شباط ٢٠٢٠ في أوغندا. وأثارت أنباء التطبيع خلافات داخلية في السودان غير أن المصالح الاقتصادية فيه رجحت كفة المطبعين كما يؤكد ايليه بوديه أيضا في كتابه المذكور. علاوة على ما ذكر، يضيف بوديه لسلة المنافع الإسرائيلية من الاتفاق مع السودان استمرار تساقط حجارة جدار الرفض العربي وبالذات في عاصمة اللاءات الثلاث على المستوى الرمزي، وكذلك المساهمة العملية في تعزيز مكانة إسرائيل في إفريقيا.

علاقات جنوب السودان وإسرائيل

وهنا لابد من التوضيح بأن الحديث عمليا يدور عن سودانين لا سودانا واحدا، الأول السودان الأم أو شمال السودان الذي يرى نفسه جزءا من الأمة العربية وعاصمته الخرطوم والثاني هو جنوب السدوان الذي انفصل عن الأم عام ٢٠١١ ويرى نفسه جزءا من إفريقيا وأقام علاقات دبلوماسية مع إسرائيل التي دعمته بالسلاح والعتاد والمسعى الدبلوماسي كي يستقل منذ منتصف ستينيات القرن الماضي. يشغل جنوب السودان حوالي ٧٠٠ ألف كيلو متر مربع من مجمل مساحة السودان البالغة ٢,٥ مليون كيلومتر مربع تقريبا (٢٨٪ من المساحة الكلية للبلاد) وللجنوب حدود تمتد إلى ٢٠٠٠ كيلومتر تقريبا مع خمس دول هي إثيوبيا وكينيا وأوغندا والكونغو وأفريقيا الوسطى.

وتشكل المراعي ٤٠٪ من الجنوب السوداني والأراضي الزراعية ٣٠٪، بينما تشغل الغابات الطبيعية ٢٣٪ والسطوح المائية ٧٪ من البلاد. تنتشر بين سكان الجنوب لهجات متعددة يصل عددها إلى ١٢ لهجة وإن كانت اللغة العربية «المحلية» التي تنطق بلكنة إفريقية هي اللغة التي يعرفها أغلب السكان تقريبا. ينقسم الجنوب السوداني إداريا إلى عشر ولايات، هي ولاية أعالي النيل وجونجلي والوحدة، وهذه الولايات الثلاث كانت تسمى من قبل بـ إقليم أعالي النيل، وولاية البحيرات وواراب وشمال بحر الغزال وغرب بحر الغزال. وتشكل هذه الولايات الأربع ما كان يعرف من قبل باسم إقليم بحر الغزال، أما الولايات الثلاث الأخرى فهي ولاية غرب الاستوائية وبحر الجبل وشرق الاستوائية أو إقليم الاستوائية سابقا، وتضم الولايات الجنوبية العشر هذه أكثر من ٣٠ محافظة.[١٥]

تم في ٩ تموز من العام ٢٠١١، الإعلان عن ميلاد دولة جنوب السودان بعد حرب أهلية تعد الأطول في أفريقيا، إذ استمرت نصف قرن من الزمان، ودارت رحاها بين الحكومة السودانية والحركات الانفصالية في جنوب السودان. مع استقلال جنوب السودان وبالاتفاق مع السودان الأم أصبحت الدولة الـ ١٩٣ في الأمم المتحدة، عاصمتها جوبا ويبلغ تعداد سكانها

وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو يلتقي رئيس الوزراء السوداني عبد الله حمدوك في كانون الأول ٢٠٢٠.

١٠,٥مليون نسمة. وحسب معطيات البنك الدولي فإن إجمالي الناتج القومي في جنوب السودان يعادل نحو ١٢ مليار دولار، أما معدل الناتج القومي للفرد فيبلغ هنا ١٧١٥ دولار. نشبت بعد استقلال الجنوب بقليل وفي ربيع ٢٠١٢ معارك ضارية ودامية بين السودان وجنوب السودان نتيجة خلافات حول مناطق حدودية وحقول نفطية، وبعد هذه الانفجار وقعت الخرطوم وجوبا في آذار ٢٠١٣ اتفاقات لتسوية الخلافات وتحديد آفاق التعاون في آذار ٢٠١٣.[١٦]

لكن دولة جنوب السودان الوليدة لم تتورط فقط بمعارك دامية مع شمال السودان بل شهدت منذ أيار ٢٠١٢ نوعا من الحرب الأهلية جراء صراعات عرقية وسياسية استمرت عدة سنوات أسفرت عن مقتل الآلاف من المسلحين والمدنيين وتشريد أكثر من مليون شخص، فضلا عن أزمات اقتصادية وإنسانية نتيجة هذه المعارك بين ميليشيات إثنية متناحرة.[١٧]

ولم يتوقع أكثر المراقبين تشاؤما أن تنفجر دولة جنوب السودان الوليدة بمثل هذه السرعة، إذ تدور حرب أهلية جديدة بين حلفاء الأمس من قادة الدولة الوليدة، بعد أن اندلعت المعارك بين قوات تابعة لرئيس دولة جنوب السودان سلفا كير ونائبه رياك مشار، حتى وصلت الحرب إلى داخل العاصمة جوبا للمرة الأولى بعد أن كانت بمعزل عن القتال طوال فترة الحرب الأولى التي اندلعت بين حكومة الرئيس سلفا كير والمعارضة المتمثلة في قوات الحركة الشعبية لتحرير السودان التابعة لنائبه رياك مشار في الفترة من كانون الأول من العام ٢٠١٣ وحتى توقيع اتفاقية السلام في آب من العام ٢٠١٥.[١٨]

كانت إسرائيل غداة استقلال جنوب السودان أول الدول المباركة والمعترفة به كدولة مستقلة سيادية وذلك في ١٠ تموز ٢٠١١. بعد ذلك بأربعة أيام أعلنت جوبا عن نيتها إقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع إسرائيل التي رحبت بذلك، وبادر رئيس جنوب السودان سيلفا كير مايارديت لزيارة إسرائيل في ٢٠ كانون الأول ٢٠١١ للتعبير عن شكره لها على دعمها لبلاده خلال الحرب الأهلية الأولى. وقد عينت إسرائيل

كانت إسرائيل غداة استقلال جنوب السودان أول الدول المباركة والمعترفة به كدولة مستقلة سيادية وذلك في ١٠ تموز ٢٠١١. بعد ذلك بأربعة أيام، أعلنت جوبا عن نيتها إقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع إسرائيل التي رحبت بذلك، وبادر رئيس جنوب السودان سيلفا كير مايارديت لزيارة إسرائيل في ٢٠ كانون الأول ٢٠١١.

حاييم كورين سفيرا لها هناك في كانون الثاني ٢٠١٢، وفي ٢٠١٤ فتح جنوب السودان سفارة له في تل أبيب. غير أن علاقات التعاون بين إسرائيل وبين جنوب السودان سبقت استقلاله بكثير، فخلال الحرب الأهلية الأولى في السودان في ستينيات القرن الماضي، قدمت إسرائيل مساعدات متنوعة للمتمردين الانفصاليين في الجنوب وقامت بتسليح ميليشياتهم وتدريبها. ولاحقا، قبيل الاستقلال وبعده، قدمت إسرائيل ومنظمات إسرائيلية غير حكومية لجنوب السودان مساعدات في مجال الزراعة والبنى التحتية. وعلى خلفية بناء علاقات رسمية بين الدولتين، بادر رجل الأعمال الإسرائيلي مئير غريبير إلى تأسيس «الشركة لتطوير جنوب السودان» التي شاركت في بناء مطارات ومستشفيات وشبكة كهرباء ومياه ومزارع.[١٩]

يبدو أن الكشف عن التطبيع الرسمي بين السودان وإسرائيل جاء قبل اكتمال الإجراءات الدستورية المستحقة داخل السودان ويبدو أن هناك من رغب بذلك قبيل يوم انتخابات الرئاسة الأميركية على أمل تسجيل نقاط سياسية تخدم حظوظ دونالد ترامب وتحفيز جمهوره التقليدي المناصر لإسرائيل. ففي ٢٣,١٠,٢٠٢٠ أعلن قادة الولايات المتحدة وإسرائيل والسودان في بيان مشترك عن توصل الخرطوم وتل أبيب لاتفاق لتطبيع العلاقات بينهما. وأكد البيان الصادر أن الرئيس الأميركي دونالد ترامب ورئيس مجلس السيادة الانتقالي السوداني عبد الفتاح البرهان، ورئيس الحكومة السودانية عبد الله حمدوك، ورئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، بحثوا اليوم هاتفيا «التقدم التاريخي الذي أحرزه السودان نحو الديمقراطية ودعم السلام في المنطقة».[٢٠] وينص البيان المشترك على أن الاتفاق المبرم يقضي بإقامة علاقات اقتصادية وتجارية بين إسرائيل والسودان مع التركيز مبدئيا على الزراعة. وشدد البيان على أن الولايات المتحدة «ستتخذ خطوات لاستعادة حصانة السودان السيادية وتشجيع الشركاء الدوليين على تخفيف أعباء ديون السودان»، مضيفا أن الشعب السوداني يقرر مصيره بعد «عقود من الديكتاتورية العنيفة». وأشار البيان المشترك إلى أن «الولايات المتحدة ستتخذ خطوات لاستعادة الحصانة السيادية للسودان وإشراك شركائها الدوليين لتقليل أعباء ديون السودان، بما في ذلك دفع المناقشات حول الإعفاء من الديون بما يتفق مع مبادرة البلدان الفقيرة المثقلة بالديون».

الإعلان عن تطبيع العلاقات بين إسرائيل والسودان

وفي اليوم التالي، وكما كان متوقعا، تحدث رئيس وزراء إسرائيل بنيامين نتنياهو عن «الإنجاز السياسي» في بيان لا يخلو من لهجة ساخرة ومفاخرة نشرته وزارة خارجيته: «في الخرطوم تبنت الجامعة العربية في العام ١٩٦٧ ثلاث لاءات: لا للسلام مع إسرائيل، لا للاعتراف بإسرائيل ولا للمفاوضات مع إسرائيل. ولكن اليوم الخرطوم تقول نعم - نعم للسلام مع إسرائيل، نعم للاعتراف بإسرائيل ونعم للتطبيع مع إسرائيل».[٢١] وتابع «نعلن اليوم عن تحقيق انفراج دراماتيكي آخر للسلام، حيث تنضم دولة عربية أخرى إلى دائرة السلام وهذه المرة يتم تطبيع العلاقات الإسرائيلية السودانية. يا له من تحول هائل». وأضاف نتنياهو: «هذا هو عصر جديد. عصر السلام الحقيقي.. أشكر رئيس المجلس السيادي السوداني الفريق أول عبد الفتاح البرهان ورئيس الوزراء السوداني عبد الله حمدوك».

وحسب بيان الخارجية المذكور قال نتنياهو إنه تحدث في مكالمة هاتفية مشتركة مع رئيس المجلس

السيادي السوداني الفريق أول ركن عبد الفتاح البرهان ورئيس الوزراء السوداني عبد الله حمدوك والرئيس الأميركي دونالد ترامب، وناقشوا تقدم السودان التاريخي تجاه الديمقراطية ودفع السلام في المنطقة». ونوه أن إسرائيل والسودان اتفقتا على البدء بعلاقات تجارية واقتصادية مع التركيز أولا على الزراعة.

وحسب هذا البيان أيضا اتفق الطرفان على أن تلتقي وفود من كلا البلدين لمناقشة اتفاقات تعاون في هذه المجالات إضافة إلى تكنولوجيا الزراعة، الطيران، وقضايا الهجرة ومجالات أخرى تخدم مصلحة الشعبين. وطبقا للبيان الإسرائيلي اتفق القادة على العمل معا لبناء مستقبل أفضل ودفع عجلة السلام في المنطقة وعلى أن هذه الخطوة ستحسن الأمن الإقليمي وتطلق فرصا جديدة للشعب السوداني والإسرائيلي وشعوب الشرق الأوسط وإفريقيا.

كما جاء في بيان نتنياهو أن هذا الاتفاق التاريخي دليل على التوجه الشجاع الذي يتحلى ببعد الرؤية للزعماء الأربعة وأنه بعد عقود من العيش في ظل ديكتاتورية وحشية، تولى شعب السودان زمام الأمور أخيرًا. لقد أظهرت الحكومة الانتقالية السودانية شجاعتها والتزامها بمكافحة الإرهاب، وبناء مؤسساتها الديمقراطية، وتحسين علاقاتها مع جيرانها. في ضوء هذا التقدم التاريخي، وبعد قرار الرئيس ترامب بإزالة السودان من قائمة الدول الراعية للإرهاب، اتفقت الولايات المتحدة وإسرائيل على الشراكة مع السودان في بدايته الجديدة وضمان اندماجه بالكامل في المجتمع الدولي». ووفقا لبيان نتنياهو، تلتزم الولايات المتحدة واسرائيل أيضا بالعمل مع شركائهم لدعم الشعب السوداني في تعزيز الديمقراطية وتحسين الأمن الغذائي والتصدي للإرهاب والتطرف واستغلال إمكاناته الاقتصادية.

بطبيعة الحال حظي موضوع التطبيع مع السودان بتوافق المعسكرين الخصمين المتحالفين في إسرائيل، «الليكود» وحزب «أزرق- أبيض»، كما انعكس في تصريحات أحد قادة الأخير وزير الخارجية غابي أشكنازي الذي قال إن هذا القرار هو قرار تاريخي وشجاع يدفع الشرق الأوسط بأسره إلى مستقبل يتسم بالاستقرار والازدهار، داعيا المزيد من الدول العربية والقيادة الفلسطينية إلى اختيار طريق السلام وتغيير ملامح الشرق الأوسط من أجل مستقبل أطفالنا.[٢٢]

ربما يغير مسلسل التطبيع العربي مع إسرائيل ملامح الشرق الأوسط كما يقول اشكنازي، لكن هل هو سلام على الأرض فعلا؟ يطرح هذا السؤال بعدما أكدت مصادر إسرائيلية بأن «السلام المعلن مع الإمارات» ليس سوى «صفقة سلاح» وهذا ما ينطبق برأيها على السودان أيضا.[٢٣] في هذا المضمار أكدت مصادر أميركية أن الولايات المتحدة قدمت للسودان مساعدة إجمالية قدرها ٨٠٠ مليون دولار، ولكن الخرطوم تطالب بأربعة أضعاف ذلك المبلغ؛ أي ما بين ٣ و ٤ مليارات دولار.[٢٤] وبحسب المصادر الأميركية المذكورة حول بدء إنجاز الصفقة مع السودان، تلقى رئيس مجلس السيادة السوداني، عبد الفتاح البرهان، خلال محادثات أجراها في أبو ظبي، حزمة من المساعدات والاستثمارات ستقدمها له الولايات المتحدة، حيث ستساعد إسرائيل الخرطوم أيضًا وتمنحها ١٠ ملايين دولار. الأمر الذي من شأنه الحد من ارتفاع معدلات التضخم ونقص السلع الأساسية، وتعزيز الاستقرار الهش الذي تعاني منه الحكومة السودانية الجديدة، والتي يشترك فيها أيضا مجموعة من العسكريين والمدنيين.

دور الولايات المتحدة والسعودية

وبحسب هذه المصادر فإن الأزمة الاقتصادية التي يعاني منها السودان، هي السبب الرئيس الذي دفع الخرطوم للعمل بجدية أكبر نحو توقيع اتفاق سلام مع إسرائيل، لإزالتها من القائمة الأميركية للدول «الراعية للإرهاب»، منوهة أن وضع السودان على القائمة السوداء يصعب عليه الحصول على تمويل خارجي وتخفيف عبء الديون. وذكرت هذه المصادر أيضًا أنه قد تم إدراج السودان في قائمة الدول «الراعية للإرهاب» عام ١٩٩٣، في ظل حكم عمر البشير، لكن الإطاحة به بعد اندلاع احتجاجات من أجل الديمقراطية العام الماضي، أدت إلى تغيير الاتجاه ودفء العلاقات مع الولايات المتحدة»، لكن مصادر أخرى كما سيأتي لاحقا تفيد بأن التغيير من هذه الناحية بدأ في نهايات حكم البشير. وعقب التطورات الأخيرة في موقف الخرطوم أعلن وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو في الشهر نفسه (تشرين الأول ٢٠٢٠) أن الإدارة الأميركية قد «بدأت بإزالة السودان من القائمة السوداء، ولكن هذا لم يحصل بعد، ويبدو الآن أنها تربط هذه الخطوة بتوقيع

ربما يغير مسلسل التطبيع العربي مع إسرائيل ملامح الشرق الأوسط كما يقول اشكنازي، لكن هل هو سلام على الأرض فعلا؟ يطرح هذا السؤال بعدما أكدت مصادر إسرائيلية بأن «السلام المعلن مع الإمارات» ليس سوى «صفقة سلاح» وهذا ما ينطبق برأيها على السودان أيضا.

اتفاق سلام مع إسرائيل».[٢٥] وحسب المصدر الأميركي المذكور يقول مسؤولون أميركيون إن شطب السودان من القائمة السوداء يعتمد أيضًا على دفع ٣٣٥ مليون دولار كتعويضات لأسر ضحايا الهجمات على السفارتين الأميركيتين في كينيا وتنزانيا، وكذلك الهجوم على مدمرة كول في عام ٢٠٠٠. وبحسب مصادر إسرائيلية، لدى إسرائيل مصالح كبيرة في السودان، من أهمها: أولاً اعتراض الأسلحة الإيرانية إلى غزة، فقد سبق وهاجمت إسرائيل شحنات أسلحة من السودان في طريقها إلى غزة عدة مرات وهي ما زالت مهتمة جدا بقطع طرق التهريب هذه إلى حماس.[٢٦] ثانيًا، تريد إسرائيل أيضًا التوصل إلى اتفاق مع السودان حتى تتمكن من إرجاع مواطنيها الذين تسللوا إلى إسرائيل في السنوات الأخيرة ويقدر عددهم بنحو ثمانية آلاف متسلل. كما تسعى لتمكين الطائرات الإسرائيلية والأجنبية من المرور فوق أجواء السودان في طريقها من وإلى إسرائيل، وبالفعل فقد مرت في شباط الماضي أول طائرة إسرائيلية فوق سماء السودان، وهذا مهم جدا في تقصير مدة الرحلة إلى أميركا الجنوبية.[٢٧]

كذلك يرى محرر الشؤون الإسرائيلية في صحيفة «هآرتس» دكتور تسفي بار إيل أن طرفي الاتفاق سيخرجان بفوائد واضحة، حيث سيتم حذف السودان من قائمة الدول الداعمة للإرهاب، وستكون الخرطوم قادرة على بدء تلقي قروض مهمة من وكالات التمويل الدولية، خاصة صندوق النقد الدولي.[٢٨] كما ستكون الشركات متعددة الجنسيات قادرة على الاستثمار في السودان، وخلق آلاف الوظائف؛ ما سيسمح لواحدة من أفقر دول العالم بإعادة بناء نفسها، بعد عقود من قيادتها من قبيل الزعيم «الدموي» عمر البشير. في المقابل، يعتبر بار إيل أن إسرائيل ستتمكن بموجب الاتفاق من استكمال إنشاء طوق أمان لها في البحر الأحمر؛ يشمل مصر والأردن وجنوب السودان والسعودية علاوة على تضييق حركة نقل السلاح من شبه جزيرة سيناء لغزة. وعلى غرار مراقبين محليين وأجانب، يتنبه بار إيل إلى أن آفاق نجاح اتفاق تطبيع العلاقات بين إسرائيل والسودان يعتمد على الفوائد الاقتصادية الفورية التي يمكن أن تظهرها الحكومة السودانية لمواطنيها، الذين تمكنوا من إسقاط نظام يعد من أقدم وأعتى الأنظمة الاستبدادية في المنطقة. منبها إلى أن السودان ليس الإمارات والبحرين لأن السلطة فيه ليست بيد عائلات مالكة لا تسمح لأي تحرك ديمقراطي كفيل بإسقاط الحكومة. ويتفق محلل الشؤون العربية في القناة الإسرائيلية إيهود يعاري مع بار إيل بأن المكسب الأساسي من وجهة نظر إسرائيل هو استقرار عملية التطبيع مع الدول العربية الأخرى، وقبولها كـ عنصر إستراتيجي يخدم مصالح تلك الدول.[٢٩]

ويعتبر يعاري أن قيادة السودان المكّونة من ذراعين (مجلس السيادة المؤقت المؤلف من عسكريين ومدنيين بقيادة الجنرال عبد الفتاح البرهان، وحكومة برئاسة عبد الله حمدوك) هيكلا هشّا ومعرضا للانتقاد من قبل الشارع الذي يعيش حالة هيجان ومظاهرات مستمرة بسبب تردي الوضع الاقتصادي. وبرأيهما، تؤكد هذه المظاهرات أنه لا علاقة لها باتفاق التطبيع، لكنها تشهد على عدم الثقة والغضب الموجهين للحكومة الانتقالية، وهو أمر يمكن استغلاله لأغراض سياسية منها ضد التطبيع، خاصة في ظل ادعاءات بأن الاتفاقية الموقعة مع تل أبيب غير شرعية، لأنها وُقعت من قبل حكومة انتقالية من دون موافقة البرلمان.

وعلى خلفية ذلك ومن أجل تهدئة الأمور كان وزير الخارجية السوداني عمر قمر الدين قد أعلن أن اتفاقية التطبيع لن تدخل حيز التنفيذ إلا بعد مصادقة البرلمان عليها؛ أي بعد عامين آخرين على الأقل.[٣٠]

تظاهرة شعبية في السودان رافضة للتطبيع مع إسرائيل يوم ٢٧ تشرين الثاني ٢٠٢٠.

ويرجح المحللان الإسرائيليان أن مجلس السيادة لا ينوي الانتظار كل هذا الوقت، ويدللان على رؤيتهما بالإشارة إلى البدء بتنفيذ مقتضيات الاتفاقية، من خلال فتح سماء السودان أمام الطائرات الإسرائيلية، وبدء المحادثات مع الطرف الإسرائيلي حول اتفاقيات اقتصادية في مجالي الزراعة والصحة. وحتى الآن ربطت الإدارة الأميركية وما تزال رفع اسم السودان من قائمة الدول الراعية للإرهاب بموقف إيجابي وعلني تجاه إسرائيل كما يستدل من وقائع اجتماع بعثة إسرائيلية أميركية مشتركة وصلت من مطار بن غوريون لمطار الخرطوم قبيل الإعلان عن اتفاق التطبيع.[٣١]

ويتضح أن مساعي إسرائيل لـ «تأليف» قلوب السودانيين ومحاولة إحكام الضغط على السودان ومقايضته سياسيا واقتصاديا ودفعه نحو دائرة التطبيع لم تتم فقط بوساطة الولايات المتحدة، بل سعت للاستعانة بدول أوروبية قبل سنوات لهذا الغرض. وقد أدارت إسرائيل مداولات سرية مع فرنسا وإيطاليا ومع دول أوروبية أخرى خلال عام ٢٠١٦ من أجل إقناعها بتقديم مساعدات للسودان كي يتمكن من مواجهة ديونه البالغة نحو ٥٠ مليار دولار ودراسة إمكانية شطب ديونه لها أسوة بدول أخرى. وفي معرض تعليل طلبها قال دبلوماسيون إسرائيليون لنظرائهم الأوروبيين «إن انهيار السودان اقتصاديا من شأنه زيادة زعزعة الاستقرار في هذا القسم من القارة السوداء وبالتالي الدفع نحو تصاعد الإرهاب».[٣٢]

ويبقى السؤال الملح اليوم كيف تنعكس خسارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب في انتخابات الرئاسة على استمرار المساعي لتحويل اتفاق التطبيع مع السودان لخطوات فعلية على الأرض مثلما هو الحال حول انعكاسات ذلك على سرعة وعمق التطبيع مع الإمارات والبحرين، وربما غيرها، خاصة أن السعودية تلعب دورا مهما من وراء الكواليس في تطبيع العلاقات بين إسرائيل والسودان طبقا لمصادر إسرائيلية.

الهوامش

١ تقرير قناة الجزيرة، "مؤتمر الخرطوم ١٩٦٧.. قمة اللاءات الثلاث"، ٢٩/٠٥/٢٠١٦
https://www.aljazeera.net/encyclopedia/events/201629/8//

٢ آنة بارسكي «مصادر في إسرائيل: الهدف الدبلوماسي القادم اتفاق مع السودان»، صحيفة «معاريف». ٢٣/٠٩/٢٠٢٠
https://www.maariv.co.il/news/politics/Article-785572
مراسلو صحيفة معاريف، "سفيرة الولايات المتحدة الأميركية في الأمم المتحدة تصرح بأن دولة عربية جديدة ستوقع اتفاقية مع إسرائيل في الأيام القريبة». صحيفة معاريف، ٢٤/٩/٢٠٢٠
https://www.maariv.co.il/news/politics/Article-791788

٣ تقرير قناة الجزيرة، "السودان"، ٠٣/١١/٢٠١٤
https://www.aljazeera.net/encyclopedia/countries/20143/11//%D8%A7%D984%%D8%B3%D988%%D8%AF%D8%A7%D986%4 https://data.worldbank.org/
البنك الدولي: «معطيات مفتوحة»

5 https://www.themarker.com/wallstreet/1.7110579
صحيفة دي ماركر ١١/٠٤/٢٠١٩: "سبعة أمور عن الاقتصاد السوداني"

٦ تقرير قناة الجزيرة، "الولايات السودانية"،١٩/٠٥/٢٠١١
https://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2011/5/19/%D

٧ صحيفة «القدس العربي»، ٠٨/٠٤/٢٠٠٧
" عن تغييب دور السودان المهم في افريقيا "
https://www.alquds.co.uk/%D8%B9%D986-%

٨ «بين المقاطعة والتطبيع»، موقع إضاءات ١٠/١٢/٢٠١٨
https://www.ida2at.com/boycott-normalization-sudanese-israeli-relations/

٩ صحيفة عكاظ، "تصريحات عمر البشير لـ عكاظ"، ١٨/١٠/٢٠١٥
https://www.okaz.com.sa/news
موقع إضاءات ١٠/١٢/٢٠١٨
https://www.ida2at.com/author/wael-ali-nasr-el-din/

١٠ يوسي ميلمان ودان رفيف، **جواسيس غير كاملين: قصة المخابرات الإسرائيلية**، (تل أبيب، ١٩٩٠).

١١ ايلي بوديه، "بعد سنوات من العلاقات السرية مع إسرائيل، المصلحة الاقتصادية حسمت". موقع " والا " الإخباري ٢٤/١٠/٢٠٢٠
https://news.walla.co.il/item/3394340

١٢ ايلي بوديه، من **عشيقة سرية إلى معروفة لدى الجمهور: العلاقات بين إسرائيل مع دول وأقليات في الشرق الأوسط** ١٩٤٨- ٢٠٢٠، (تل أبيب: عام عوفيد، ٢٠٢٠).

١٣ ميخائيل بار زوهر ونسيم مشعال، **الموساد : العمليات الكبرى**، (تل أبيب: يديعوت سفاريم، ٢٠١٠)
https://underup.org/media/2115481

١٤ "قصة منتجع السودان"،هيئة البي بي سي ٠٤/٠٨/٢٠١٩
https://www.bbc.com/arabic/art-and-culture-49219630

١٥ موقع الجزيرة نت : ٠٣/١٠/٢٠٠٤
(جنوب السودان.. معلومات أساسية)
https://www.aljazeera.net/200403/10//%D8%AC%D986%%D988%%D8%A8-%D8%A7%D984%%D8%B3%D988%%D8%AF%D8%A7%D986-%%D985%%D8%B9%D984%%D988%%D985%%D8%A7%D8%AA-

١٦ موقع مجلة «زمان» الدولية : ١٠/٠٧/٢٠١٦
" أبرز الأحداث منذ استقلال جنوب السودان عام ٢٠١١ "
https://www.azzaman.com/%d8%a3%d8%a8%d8%b1%d8%b2-

١٧ هيئة البي بي سي ١٣/٠٧/٢٠١٦ تاريخ دولة جنوب السودان منذ الاستقلال
https://www.bbc.com/arabic/worldnews/2016160712/07/_south_sudan_timeline

١٨ صحيفة «العربي»

٢٠ حزيران ٢٠١٦
الحرب الأهلية في جنوب السودان.. تدمير جوبا في يوم الاستقلال
https://www.alaraby.co.uk/%D8%A7%D984%%D8%AD%D8%B1%D8%

١٩ الانسكلوبيديا اليهودية (هـ مخلول)
" علاقات إسرائيل وجنوب السودان "
https://www.hamichlol.org.il/%D799%%D797%%D7%A1%D7%99_%D793%%D7%A8%D795%%D79%D_%D7%A1%D795%%D793%%D790%%D79%F%E293%%80%D799%%D7%A9%D7%A8%

٢٠ وكالة رويترز: رسميا الإعلان عن اتفاق التطبيع السودان وإسرائيل ٢٣/١٠/٢٠٢٠
https://arabic.rt.com/world/1166677-%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D98%A%D984-%%D8%A7%D984%%D8%B3%D988%%D8%AF%D8%A7%D986-%%D8%A7%D8%AA%D981%%D982-%%D8%AA%D8%B7%D8%A8%D98%A%D8%B9-%D8%B9%D984%%D8%A7%D982%%D8%A7%D8%AA/

٢١ " الإعلان عن تطبيع العلاقات بين إسرائيل والسودان: موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية ٢٤/١٠/٢٠٢٠:
http://www.altawasul.com/MFAAR/TheGovernment/Pages/Israel_sudan.aspx

٢٢ "يديعوت احرونوت" ٠٥/١٠/٢٠٢٠.

٢٣ "يديعوت أحرونوت" ١٩/٠٨/٢٠٢٠.

٢٤ "نيو يورك تايمز" ٢٩/٠٩/٢٠٢٠
https://www.nytimes.com/202027/09//world/middleeast/sudan-us-israel-peace-recognize.html

٢٥ قناة الحرة الأميركية
https://www.alhurra.com/sudan/202021/10//%D8%A8%D98%8%D9%

٢٦ «يديعوت أحرونوت»، ٣٠/٠٩/٢٠٢٠.

٢٧ المصدر المذكور

٢٨ صحيفة «هآرتس» صفقة السودان – إسرائيل ٢٥/١٠/٢٠٢٠
https://www.haaretz.com/israel-news/.premium-normalization-between-israel-and-sudan-is-more-cause-for-caution-than-celebration-1.9259427

٢٩ "معاريف": "تهاوي جدار المقاطعة العربية"، ٢٥/١٠/٢٠٢٠
https://www.maariv.co.il/news/politics/Article-797790

٣٠ قناة الجزيرة ٢٥/١٠/٢٠٢٠
التطبيع بين إسرائيل والسودان مدعاة للحذر
https://www.aljazeera.net/news/politics/2020/10/25/%D987%%D8%A2%D8%B1%D8%AA%D8%B3-%D8%B5%D981%%D982%%D8%A9-%D8%A7%D984%%D8%AA%D8%B7%D8%A8%D98%A%D8%B9-%D8%A8%D98%A%D986-%%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D98%A%D984%

٣١ "موافقة سودانية على التطبيع: موقع «عرب٤٨»" ٢٢/١٠/٢٠٢٠
https://www.arab48.com/%D8%A7%D984%%D8%A3%D8%AE%D8%A8%D8%A7%D8%B1/%D8%A3%D8%AE%D8%

٣٢ هيئة البي بي سي «التطبيع : لماذا يسعى دونالد ترامب إلى عقد صداقة بين السودان وإسرائيل»، ٠٩/١٠/٢٠٢٠
https://www.bbc.com/arabic/middleeast-54478245
يديعوت أحرونوت: «رونين بيرغمان : أسرار العلاقة السودانية». ٣٠/١٠/٢٠٢٠